لواء البصرة

Liwâ' de Basrah.

نوطئة

لواء زراعي مشهور بكثرة النخيل وجودة التمور . يحده من الشمال لواء العمارة ومن الجنوب خليج فارس ومن الشرق بلاد ايران ومن الغرب الصحراء الشامية وتقدر نفوس سكانه بنحو ١٦٥٫٦٠٠ نسمة جلهم من المسلمين . هواؤه رطب ثقيل وماؤه عذب لانه يتكون من نهرين عذبين عظيمين هما دجلة والفرات ومعظم اراضيه تسقى سيحا لان المد والجزر الناشئين من جاذبية الشمس والقمر وسيلانية الماء هما العاملان الاساسيان في صعود الماء وهبوطه والمد هو الذي يروي اراضي هذا اللواء ويجعلها غابة كبيرة من النخل فالماء في شط العرب يعلو في كل ٢٤ ساعة مرتين فيسقي الاراضي الكثيرة بدون استعمال آلات السقي المختلفة فاذا اتم فعله عاد الى حيث اتى .

ولقد كان هذا اللواء بؤرة امراض في ما مضى من الاعوام لان الحمى تشتد فيه اشهر الصيف إذ ترتفع الحرارة احيانا الى درجة ٥١ مئوية فتخلق انواع الامراض اما اليوم فبوسائل التنظيف والتبريد خفت وطأة تلك الامراض بل تكاد تكون معدومة على ان اشتداد الحرارة في هذا اللواء من اقوى العوامل الفعالة في نمو الاثمار ونضاجها وتروج التجارة فيه رواجا عظيما فهو مفتاح باب التجارة العراقية ومخزن من مخازنها المهمة .

مركز اللواء

مركز لواء البصرة ، مدينة البصرة وهي عظيمة لم تكن في ايام الفرس وانما مصرها العرب انفسهم وقد مصرت قبل الكوفة بسنة ونصف على ما قال الشعبي والبصرة في كلام العرب : الارض الغليظة التي فيها حجارة صلبة تقطع حوافر الدواب وقد اطلقوها على المدينة التي شيدها عتبة بن غزوان عام ١٥ للهجرة بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب وخلاصة امرها ان خالد بن الوليد لما تقدم لفتح العراق عام ١٢ هـ سار اليه والبحر ونزل في موضع يسمى (الابلة) وكان بلدا

عظيما في زاوية الخليج الفارسي يتخذه الفرس مسالح لهم، فلما وصلت الاخبار الى عمر عن تقدم المسلمين : ولى عتبة بن غزوان تلك الاطراف وامره ان يتخذ فيها مصرا للمسلمين فكان اول ما شيده عتبة في هذه البقعة مسجدا من قصب مع دار امارة ثم صار المسلمون ينشئون المنازل من القصب ايضا حتى اذا غزوا محلا نزعوا القصب وحزموه حالا فاذا عادوا من الغزو سالمين آمنين اعادوا المنازل الى ما كانت عليه . ثم صارت البيوت تشيد بعد ذلك بالحجارة الصلبة فكثرت العمارة وتقدمت وصارت البصرة من الحواضر المهمة التي قل ان تماثلها بلدة بحسن عمارتها وعظمة بنائها وبهائها . ولم يلبث الدهر طويلا حتى قلب لها ظهر المجن فجعلها آكلما ترى اليوم على بعد ثمانية اميال من مدينة البصرة الحالية التي انتقلت اليها العمارة بعد خراب الاولى .

ولقد حدثت في هذه البقعة حوادث مهمة عظيمة ففيها التقى امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) والسيدة عائشة (رض) وكانت قد خرجت لقتاله وهي على ظهر جمل فعرفت تلك الوقعة بواقعة الجمل . وفيها اسرف الخوارج في الفساد واستباحوا المنكرات حتى هزمهم الامويون شذر مذر . وفيها وقعت حروب ابكار وعون بين الفرس والعرب حتى دخلت في قبضة آل عثمان عام ٩٥١ هـ وكان آخر امرها في دهرنا ان احتلتها الجيوش البريطانية في غرة المحرم الحرام سنة ١٣٣٣ (٢٢ تشرين الثاني ١٩١٤) ثم انتقلت الى الحكومة العراقية الحالية بعد ذلك وهي تعلو عن سطح البحر ثماني اقدام وتبعد عن جنوبي بغداد ٣٥٦ ميلا بالسكة الحديدية التي انشأتها الحكومة البريطانية ايام الاحتلال .

وفي هذه المدينة مبان جليلة وبيوت عامرة وجادات واسعة وخانات كثيرة ومساجد جميلة وفنادق انيقة وحمامات منتظمة ومخازن تجارية مهمة ومدارس وكتاتيب عديدة وبساتين لا تحصى وجنائن لا تستقصى وغير ذلك من لوازم الحواضر الكبرى وهي تبعد عن ساحل شط العرب الايمن بميل ونصف ميل في جهته الغربية وتقرب منها قصبة العشار الجميلة القاعدة على ضفة شط العرب اليمنى والتي هي اليوم بمثابة سوق للبصرة على رغم جسامة البصرة وكثرة جاداتها وبيوتها ومخازنها ونقاوة الهواء وعذوبة الماء فيها . وبين البصرة والعشار جادة

مستقيمة معبدة لسير السيارات والاهلين. وعلى بعد بضع اميال من البصرة ميناء فخم ترسى عنده البواخر التجارية والحربية ولهـذا الميناء رصيف صناعي بديع ويقدر خشبه وسائر ادواته بنحو ثلاثة ملايين ربية وهو الوحيد من نوعه في العراق .

تنظيمات اللواء الادارية

يتقوم لواء البصرة من مركزه ومن ثلاثة اقضية مهمة . اما مركزه فمدينة البصرة التي تقدم البحث فيها . واما اقضيته الثلاثة فهي ـ١ـ قضاء السيبة ـ ٢ قضاء شط العرب ـ٣ـ قضاء القرنة وها نحن اولاء نبحث عن كل منها بقـدر الامكان .

١ — قضاء السيبة

هذا قضاء حديث احدثته الحكومة في الاونة الاخيرات وبعد ان تحسنت الامور بين العراق وجارته ايران ولا توجد فيـه اي ناحية بل هو يتقوم من مركزه فقط . ومركزه دار حكم مع مخفر للشرطة واقعين في قرية السيبة الواقعة على ضفة شط العرب اليسرى في محل يقابل بادة عبادان التابعة لايران ويبعد عن جنوبي البصرة ٣٥ ميلا .

٢ — قضاء شط العرب

وهذا القضاء حديث ايضا إلّا ان توابعه قديمة في التنظيمات الادارية وهو يتقوم من اربع نواح مهمة وهي الزبير والهـارثة وابي الخصيب وشط العرب وتتبع كل هذه النواحي قرى عديدة بعضها كبير . اما مركز القضاء ففي مدينة البصرة نفسها . والبصرة احسن محل رأت الحكومة ان تتخذه مركزا لهذا القضاء الجسيم لتوسطه بين توابعه والنواحي الاربع المذكورة بعضها مهم وكبير وبعضها غير مهم ونبدأ الان بالبحث في كل منها فنقول :

١ـ ناحية الزبير (بالتصغير) مركزها قصبة الزبير وهي قصبة كبيرة جرداء واقعة على طف الجزيرة يحيط بها سور انشأه الاتراك عام ١٢١٧ هـ ـ ١٨٠٢ م لرد عادية الوهابيين لانها احسن مكان يمكن اتخاذه حصنا للدفاع عن البصرة ومايجاورها . فيها من النفوس نحو ٢٢,٠٠٠ نسمة معظمهم من النجديين وفيها مشهد الزبير بن العوام مقاما وسط صحن عظيم يدل مشهده على انه تجدد غير

مرة . وتقع هذه القصبة بجوار طلول البصرة القديمة وتبعد عن الجنوب الغربي لمدينة البصرة الحالية ١٨ ميلا وليس فيها مياه جارية ولهذا يجمع سكانهـا مياه الامطار في الحفر والخنادق حتى اذا صار الصيف حفروا الابار لاستسقاء ما يسد حاجتهم من الماء كما ان مزارعها تروى بمياه الامطار ايضا . وينمو اجود انبطيخ في الزبير بكثرة فائقة وجميع البيوت فيها مبنية بالجص فهي بيض والزبير تعد المرحلة الاولى في طريق البصرة للكويت ونجد وما يجاورهما .

وعلى بعد ميلين من الزبير قرية الشعيبة التي اكتسبت شهرة عالمية في الحرب الكونية حيث دارت فيها رحى الحرب بسرعة وفظاعة وقد اتخذت الان مطارا للقوة الجوية البريطانية في العراق .

٢ــ ناحية (الهارثة) ناحية جسيمة ذات انهار غزيرة المياه كثيرة النخيل تقع على ضفة شط العرب اليمنى وفيها مساكن للزراع لا بأس بها وعدد النفوس فيها ثلاثة آلاف يشتغل بعضهم بنسج الاعبئة الممتازة .

٣ــ ناحية (ابو الخصيب) ناحية جسيمة ايضا تخترق اراضيهـا الشاسعة الجـداول الكثيرة المتشعبة من شط العرب وهي غابة من النخيل تمتد على شط العرب في ضفته اليمنى الى مسافة بعيدة . ولما كان معظم البصريين اصحـاب مقاطعات ونخيل فيها شيدوا لهم قصورا بديعة سامقة تطلّ على شط العرب فتخيل للناظر اليها انها جنة من جنان الدنيا وحديقة من حدائقها الغن . ولقد كانت قبل مدة وجيزة فضاء فاصبحت اليوم ناحية .

وفيها زهاء ٧٨٠٠ نسمة جلهم من الزراع وبالغرب منها قبور لبعض الصحابة منهم عبد الرحمن بن عوف والمقداد بن الاسود الكندي وغيرهما . وحالتها المالية حسنة جدا واهلها مشهورون بالكرم .

٤ــ ناحية (شط العرب) مركزها التنومـة (بتشديد النون) وهي قرية حقيرة قائمة على ضفة شط العرب اليسرى في محل يقابل قصبة العشار تماما . فيها بعض الصرائف والاكواخ التي يسكنها الفلاحون الذين يقومون بخدمة البساتين التابعة لها وتعد (التنومة) المرحلة الاولى في طريق البصرة الى المحمرة وعبادان وما جاورهما .

٣ — قضاء القرنة

القرنة محل اقتران دجلة بالفرات ولفظها اسم من الاقتران كالفرقة من الافتراق وكان الرومانيون يسمون محل اقتران الفراتين في القرن الاول للميلاد (دقبة او دجبة) حيث كان يلتقي الفراتان . وفي اواسط القرن الثاني للميلاد كان النهران يجتمعان عند مدينة (افامية) وفي عهد ياقوت كانا يجتمعان في (مطارة) قال ياقوت في معجمه « مطارة من قرى البصرة على ضفة دجلة والفرات في ملتقاهما بين المذار والبصرة » وذكر الحاج خليفة في كتابه « جهاننما » ان دجلة كانت تلتقي هي والفرات في موضع يسمى « الجوازر » لان المياه كانت تجزر هناك . فالقارئ يرى مما تقدم ذكره ان محل اقتران دجلة والفرات تسمى باسماء مختلفة كان آخرها « القرنة » وقد كانت قلعة قديمة تصد الهاجمين على البصرة . واتفق ان هذه القلعة تهدمت في ايام آل افراسياب فقام بتجديد بنائها علي باشا جد هذه الاسرة ونسبت اليه اياما حيث سميت « العلية » فلما طوي بساط آل افراسياب استرجعت القلعة اسمها القديم وهو القرنة . ولم يظهر حتى الان من يرشدنا الى تاريخ بناء هذه القلعة او الشخص الذي بناها إلا ان بعض المؤرخين يذكرون ان القرنة كانت اول مركز للشيعة في العراق بعد واقعة الجمل ومما يؤيد هذا القول وجود قبر عمر بن زين العابدين فيها يؤمه الناس .

والقرنة اليوم مركز للقضاء المسمى باسمها وهي قصبة جميلة المنظر تمتد على ساحلي دجلة والفرات فيها ٢٥٠٠ نسمة وحالتها الاقتصادية منحطة وسير العلم فيها مهمل ومبانيها متوسطة واسواقها متناسبة مع اهميتها التجارية وطرز بنائها . ويشاهد فيها الى اليوم آثار شجرة قديمة مشهورة عند اهلها باسم « البرهام » ويزعم اهلها انها من زمن آدم (ع) (كذا) ويقول البعض انها من زمن المسيح (ع) وقد اعتاد البله من السكان هناك ان يشدوا الخرق حولها ويطلوا المحل المحيط بها بالحناء تبركا بقدمها واملا ان تقضي حوائجهم وتبعد هذه القصبة عن الشمال الغربي لمدينة البصرة ٤٦ ميلا ولكون دعاية الشيعة كانت محتدمة ايام عزها وصولتها حدثت في هذه البقعة حرب هائلة بين سكانها والعباسيين ونظرا لوقوعها في وسط البطائح كانت ولا تزال محمية بحكم موقعها الجغرافي ومايحيط بها من

اهوار (١).

وتمتد اراضي هذا القضاء على ضفاف الانهر الثلاثة دجلة والفرات وشط العرب واكثر اراضيه اهوار تكثر في وسطها هضبات تدل على وجود آثار ابنية قديمة ترتقي الى عهد الفرس ولا يزال افراد العشائر هناك يستخرجون منها قدرا مهما من الطاباق لتبنى به منازل القصبات والقرى القريبة منها او المجاورة لها

لقضاء القرنة ثلاث نواح هي :

١ــ ناحية المدينة (كجهينة بالتصغير) وهي ناحية جسيمة تشمل اراضيها قسما من ضفة الفرات اليمنى وقسما من ضفته اليسرى وللحكومة في مركزها بناية فخمة تتم مدرسة اميرية عامرة كما ان للاهلين فيه قيصرية (قيسارية) بديعة ومقاهي كثيرة وسوقا مستقيمة فيها عدة دكاكين يشتري منها سكان الناحية ما يحتاجون اليه من المأكل والملبس . اما السكان فكلهم زراع وهم يقطنون نحو ٥١ قرية مختلفة الاسماء والمساحات ويبلغ عدد نفوسهم زهاء ٢١٠٠٠ واما مركز الناحية فقرية مسماة باسمها وهي جسيمة قائمة على ضفة الفرات اليمنى بين القرنة وسوق الشيوخ تبعد عن الاولى ١٤ ميلا وعن الثانية ٦٨ ميلا . تكتنفها البطائح المشهورة

١) البطائح ــ ومفردها البطيحة ــ مجتمع سيب المياه . يقال تبطحت المياه اذا سالت واتسعت في الارض وفي جنوب العراق اليوم بطائح كثيرة يرجع سبب وجودها الى ان دجلة انبثقت في ايام قباذ ابن فيروز بثقاً عظيماً بالقرب من كسكر فاغفل امرها حتى غلب ماؤها وغرق القرى العامرة الكثيرة التي كانت بقربه وجواره فتكونت بطائح خطيرة من واسط الى ظهر البصرة ولما كانت ايام انوشروان العادل زحم الماء بالمسنيات فعادت تلك الارضون الى حالها القديم. فلما كانت ايام ابنه برويز ارتفع الماء عام ٧ هـ في دجلة والفرات ارتفاعاً عظيماً وانبثقت بثوق كبيرة لم تقو جهود الملك على درء خطرها فظلت هكذا حتى جاء المسلمون فانشغلوا في الحروب وكانت البثوق تتفجر ولا يلتفت اليها احد. فلما كانت ايام الحجاج بن يوسف الثقفي كبرت البطائح واستفحل امرها فكتب الى الوليد بن عبد الملك يرجوه المساعدة على سدها . ولكن الوليد استكثر المبالغ المطلوبة لهذا العمل ففوض امر سدها الى مسلمة بن عبد الملك بعد ان اقطعه اياها. ولكن امرها بقي مستفحلا حتى الآن فاذا زاد دجلة والفرات او ارتفع الماء فيهما اسيب ما عادت البطائح الى حالتها القديمة على انها سائرة الآن نحو الجفاف . وقد كتب عراقي فاضل مقالات ممتعة عن البطائح وتاريخها وتكونها ونشوئها في اعداد مختلفة من مجلة (لغة العرب) هذه فليرجع اليها من احب الازدياد من هذا الموضوع التاريخي النفيس .

في التاريخ وتحيط بها المياه من جميع جهاتها فهي اذن جزيرة وقد كانت هذه القرية حاضرة الجزائر في العصور الخالية إلا انها انحطت بالتدريج انحطاط بقية المدن والقصبات المهمة في العراق .

٢ــ ناحية السويب (بالتصغير ايضا) وتمتد اراضيها على ساحل دجلة الايسر وساحل شط العرب الايسر وهي محادة لايران عن طريق الحويزة وعلى الرغم من هذه المجاورة كان اهلها الذين يسكنون نحو ٣٣ قرية ويبلغ عددهم زهاء ١٥٫٠٠٠ نسمة كلهم من العرب الاقحاح يزاولون الزراعة التي هي معتمد عيشهم ولا يعرفون غير العربية لغة يتفاهمون بها . وللحكومة بناية حقيرة اتخذتها مركزا للناحية وهذه البناية واقعة فوق تل مرتفع يسمونه الجبل في موضع يبعد عن شرقي القرنة (مركز القضاء) اربعة اميال فقط .

٣ــ ناحية الشافي تقع اراضي هذه الناحية على ساحل الفرات الايمن وساحل شط العرب الايمن وهي ليست معمورة اذ كل ما فيها من العمران مركز للناحية يسكن فيه المدير مع آخر للشرطة واقعين على متن نهر الشافي الايمن ويبعدان عن جنوب القرنة ١٥ ميلا ويربط بين جانبي نهر الشافي المتفرع من شط العرب جسر حديدي محكم احكاما عجيبا يبلغ طوله ٢٠٠ قدما وليست تحته عمد فيعتمد عليها بل هو معلق تعليقا وقد انشأته السلطات الاحتلالية لعبور القطار الذي كان ممتدا بين البصرة والعمارة . ويبلغ عدد القرى التابعة لهذه الناحية ٣٥ قرية فيها نحو ٣٠٫٠٠٠ نسمة

ملحوظات

ترتبط بقضاء القرنة ارتباطا اداريا عدة قرى تراجع مركز القضاء في معاملاتها الادارية والمالية واهم هذه القرى قرية العزير التي فيها مدفن عزير (ع) وعلى ما قيل وما يقال له فيها مزار فخم يحتوي على ما يناهز مائتي غرفة يسكن فيها زوار اليهود في مواقيت الزيارات المسماة . وهي تقع على ضفة دجلة اليمنى في محل يبعد ٢٦ ميلا من الشمال الغربي لقصبة القرنة بينها وبين قلعة صالح ونفوسها نحو ٤٠٠

وقد كان قوام مرقد (عزير) الى اواخر ايام الحرب العمومية من عشيرة

مسلمة يقال لها « كولم » بالاضافة الى صاحب القبر ولا يزال لهـذه العشيرة نحو ٧٥ دارا على ضفتي دجلة بالقرب من هذا المرقد ولكن اليهود اخذوا سدانة المرقد من المسلمين في ايام الاحتلال فبقيت السدانة بايديهم حتى هذه الايام .

السيد عبد الرزاق الحسني

الدن في التاريخ

La tonne dans l'histoire.

من غرائب تلاعب النـاس بالالفاظ ان « الطن » المشهور في الاوزان هو الدن فنقله الغربيون عنا ببعض تحريف وتصحيف فقالوا Tonnel ثم عاد المعاصرون منا واخذوه من الغربيين فقالوا « طن » ويراد به اليوم برميل ضخم وما يسعه من السوائل وقدر وزنها الف كيلغرام . وهم يقولون ان كلمتهم الافرنجية من القاطية . إلّا ان العلامة اللغوي الكبير دياز Diez يقول : ان اللفظة دخيلة في اللغات الاوربية ولم يهتد الى اصلها لانه يجهل العربية .

اما ان العرب عرفوا الدن قبل الغربيين فهـذا مشهور عنهم لانهم اتخذوا منذ القدم انواع الانية من الفخار او الصلصال ومن الجملة هذا الدن . قال لغويونا الدن : الراقود العظيم او هو اطول من الحب مستوي الصنعة في اسفله كهيئة قونس البيضة او اصغر من الحب له عسعس لا يقعد إلّا ان يحفر له . قال ابن دريد : عربي صحيح . وانشد : وصل على دنها وارتسم

على ان الافرنج صنعوه من الخشب لان ديارهم رطبة . والخشب توافقه الرطوبة ليبقى على حالته فمادة صنعه لا تغير شيئا من اصل لفظه .

اما قول بعض لغويي الغرب ان الكلمة الفرنسية ماخوذة من اللاتينية Tina او اليونانية Dinos فالمعروف عن هذه الكلمة انها تعني الاناء الصغير الذي يتخذ للخمر نحو الابريق قدرا وليس كالحب ولهذا نرى ان القول بعربية اصلها اقرب الى الحق . ولكل امرئ رأي .